

مَحْبُوبٌ مِنَ اللَّهِ

المُحَاضَرَةُ ٣: مَحَبَّةُ اللَّهِ الْوَفِيَّةُ

أر. سي. سبرول

مُنْذُ ٢٥ سَنَةً، كُنْتُ قَدْ حَجَرْتُ تَذْكَرَةَ سَفَرٍ مِنْ بِنْسَبِيرِغِ إِلَى سَانَ فَرَانْسِينْغُو، وَحِينَ وَصَلْتُ إِلَى الْمَطَارِ اكْتَشَفْتُ أَنَّ الْمَقَاعِدَ مَحْجُوزَةً بِالْكَامِلِ، وَنَتِيجَةَ ذَلِكَ صُدِمْتُ. أَمَا شَرِكَةُ الطَّيْرَانِ، وَلَكِي تَعَوُّضٌ عَنِ الْإِرْعَاجِ الَّذِي سَبَّبَتْهُ لِي، قَامَتْ بِبَعْضِ الْأُمُورِ اللَّطِيفَةِ. أَوَّلًا، أَرْجَعْتُ إِلَيَّ الْكُلْفَةَ الْكَامِلَةَ لِتَذْكَرَةِ الذَّهَابِ وَالْعَوْدَةِ، ثَانِيًا، حَجَرْتُ لِي عَلَى مَتْنِ الطَّائِرَةِ الْمُنْجِهَةِ إِلَى سَانَ فَرَانْسِينْغُو، الَّتِي كَانَتْ سَتَقْلَعُ بَعْدَ ثَلَاثِ سَاعَاتٍ. وَبِمَا أَنِّي لَمْ أَكُنْ عَلَى عَجَلَةٍ مِنْ أَمْرِي لَمْ يُسَبِّبْ لِي الْأَمْرُ إِرْعَاجًا كَبِيرًا، لَكِنَّ تِلْكَ الرَّحْلَةَ إِلَى سَانَ فَرَانْسِينْغُو كَانَتْ مَجَانِيَّةً.

وَالْأَمْرُ التَّالِي الَّذِي فَعَلُوهُ هُوَ إِعْطَائِي مَكَانًا فِي الدَّرَجَةِ الْأُولَى لِلْقِيَامِ بِتِلْكَ الرَّحْلَةِ. كَانَتْ تِلْكَ الْمَرَّةُ الْأُولَى الَّتِي تَتَسَنَّى لِي فِيهَا فُرْصَةُ الْجُلُوسِ فِي جَنَاحِ الدَّرَجَةِ الْأُولَى مَعَ شَرِكَةِ طَيْرَانٍ كُبْرَى. وَلَمَّا جَلَسْتُ فِي مَكَانِي، تَعَرَّفْتُ عَلَى الرَّجُلِ الْجَالِسِ بِالْقُرْبِ مِنِّي، لِأَنَّهُ كَانَ مُدِيرًا بَارِزًا لِشَرِكَةِ صِنَاعِيَّةِ أَمِيرِكِيَّةِ. وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ لِتَتَعَرَّفُوا عَلَى اسْمِهِ إِنْ كَشَفْتُهُ لَكُمْ، لَكِنِّي لَنْ أَفْعَلَ ذَلِكَ. إِنَّمَا فَتَحْتُ حَدِيثًا مَعَهُ. وَأَتْنَاءَ تِلْكَ الرَّحْلَةِ الْجَوِّيَّةِ الطَّوِيلَةِ إِلَى سَانَ فَرَانْسِينْغُو كُنَّا نَتَكَلَّمُ عَنْ تَعْيِينِ أَشْخَاصٍ فِي مَنَاصِبٍ تَنْفِيذِيَّةٍ فِي شَرِكَاتِنَا وَمَا إِلَى ذَلِكَ.

وَفِي سِيَاقِ الْحَدِيثِ، قُلْتُ لَهُ "مَا هِيَ أَوَّلُ صِفَةٍ تَبْحَثُ عَنْهَا لَدَى مُوظَّفٍ تَنْفِيذِيٍّ فِي شَرِكَتِكَ؟" وَلَمْ يَتَرَدَّدْ وَفَاجَأَنِي بِرَدِّهِ، قَالَ إِنَّ أَوَّلَ مَا يَبْحَثُ عَنْهُ هُوَ: الْوَفَاءُ. فَقُلْتُ "هَذَا غَرِيبٌ"، لِأَنَّ كُتُبَ النَّدْرِيسِ تَقُولُ إِنَّهُ لَا يَجْدُرُ بِكَ أَنْ تُحِبَّ نَفْسَكَ بِأَشْخَاصٍ يَقُولُونَ فَحَسْبُ "نَعَمْ سَيِّدِي"، وَيَفْعَلُونَ الْمُسْتَحِيلَ لِأَجْلِكَ، وَلَا يُمَكِّنُكَ أَنْ تَكُونَ عَدِيمَ الشُّعُورِ بِالْأَمَانِ لِدَرَجَةِ أَلْتِكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَشْخَاصٍ أَوْفِيَاءَ بِالْقُرْبِ مِنْكَ. أَوَّلُ أَمْرٍ يَجِبُ أَنْ تَبْحَثَ عَنْهُ هُوَ الْكِفَاءَةُ وَغَيْرُهَا. لَكِنَّ هَذَا الرَّجُلَ لَمْ يَرْتَبِكْ، قَالَ "لَا يُمَكِّنُنِي أَنْ أَعْمَلَ كَمُدِيرٍ لِشَرِكَتِي إِنْ لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَثِقَ بِالْمُسَاعِدِينَ الْمُبَاشِرِينَ لَدَيَّ الَّذِينَ أَعْتَمِدُ عَلَيْهِمْ فِي عَمَلِنَا". فَعَلِقَ كَلَامُهُ فِي ذَهْنِي لَاحِقًا، لِأَنِّي فَكَّرْتُ كَمْ أَنَّ الْوَفَاءَ أَصْبَحَ نَادِرًا فِي نَوَاحِ عِدَّةٍ.

وَمُنْذُ بَضْعِ سَنَوَاتٍ، شَاهَدْتُ فِيلْمَ "بِرَايْفِ هَارْت"، وَهُوَ تَصْوِيرٌ هُولِيُودِ لِقَوَائِحِ حَيَاةِ "وِيلْيَامِ وُوليس" وَنِصَالِهِ لِأَجْلِ اسْتِقْلَالِ اسْكُوتْلَنْدَا. وَأَذْكَرُ تِلْكَ اللَّحْظَةَ الْمُؤَثِّرَةَ فِي الْفِيلْمِ، حِينَ قَامَ حَلِيفُ "وِيلْيَامِ وُوليس" الْمَوْثُوقُ "رُوبَرْتِ دِي بَرُوس" بِخِيَانَتِهِ. وَلَمْ تَكُنْ لِتُكْشَفَ قُورًا هُوِيَّةَ الْخَائِنِ. لَكِنَّ حِينَ تَبَيَّنَ أَنَّهُ حَلِيفُهُ الْمَوْثُوقُ "رُوبَرْتِ دِي بَرُوس" تَجَمَّدْتُ فِي مَقْعَدِي، وَنَظَرْتُ إِلَى الشَّاشَةِ، وَرَأَيْتُ صُورَةَ الرَّجُلِ الَّذِي كَانَ يُؤَدِّي دَوْرَ "رُوبَرْتِ دِي بَرُوس"، فَتَحَوَّلَ وَجْهُهُ إِلَى وَجْهِ صَدِيقٍ لِي، وَثَقَّتْ بِهِ كَثِيرًا فِي حَيَاتِي، وَخَانَتْنِي. فَانْتَابَنِي شُعُورٌ رَهِيْبٌ فِي مِعْدَتِي، ذَلِكَ الشُّعُورُ

الَّذِي يَتَرَفَّقُ مَعَ إِدْرَاكِكَ أَنَّكَ تَعَرَّضْتَ لِلْخِيَانَةِ. وَأَنَا مُتَأَكِّدٌ مِنْ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ بِدُونِ اسْتِثْنَاءٍ اخْتَبَرَ ذَلِكَ الْأَمَّ الْعَمِيقَ النَّاتِجَ عَنِ التَّعَرُّضِ لِلْخِيَانَةِ. كَمَا يُشْعِرُكَ الْأَمْرُ بِالْيَأْسِ، عَلَى الْأَقَلِّ عَلَى الْمَدَى الْقَصِيرِ.

أَذْكَرُ أَيْضًا، أَنِّي مُنْذُ سَنَوَاتٍ عِدَّةٍ قَرَأْتُ سِيرَةَ حَيَاةِ الْقَدِيسِ أَوْغُسْطِينُوسِ. وَذَكَرَ أَوْغُسْطِينُوسُ قُبَيْلَ نَهَايَةِ حَيَاتِهِ أَنَّهُ تَعَرَّضَ لِلْخِيَانَةِ مِرَارًا عِدَّةً مِنْ أَقْرَبِ الْأَصْدِقَاءِ، لِذَرَجَةِ أَنَّهُ تَوَصَّلَ إِلَى مَرْحَلَةٍ، بِدُونِ سُخْرِيَّةٍ وَبِدُونِ مَرَارَةٍ بِرَأْيِي، قَرَّرَ فِيهَا أَنْ يَأْتِمِنَ الْمَسِيحَ وَخَدَهُ عَلَى حَيَاتِهِ. فَعِنْدَمَا تَحِينُ سَاعَةُ الْحَقِيقَةِ، قَلَّةٌ هُمْ الْأَشْخَاصُ الَّذِينَ يَقِفُونَ إِلَى جَانِبِكَ فِي وَفْتِ الصِّيقِ الشَّدِيدِ. السَّبَبُ الَّذِي يُدْفَعُنِي إِلَى التَّكَلُّمِ عَنِ الْأَمْرِ هُوَ أَنَّ أَحَدَ الْأُمُورِ الَّتِي يُعْلِنُهَا الْكِتَابُ الْمُقَدَّسُ عَنِ شَخْصِ اللَّهِ...سَبَقَ أَنْ رَأَيْنَا أَنَّ الْمَحَبَّةَ الَّتِي يُظْهِرُهَا هِيَ مَحَبَّةٌ أَبَدِيَّةٌ، إِنَّهَا مَحَبَّةٌ دَائِمَةٌ، إِنَّهَا مَحَبَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، لَكِنْ عَلَيْنَا أَنْ نَفْهَمَ أَيْضًا أَنَّ مَحَبَّةَ اللَّهِ هِيَ مَحَبَّةٌ وَفِيَّةٌ. فِي الْوَاقِعِ، إِنَّهَا الْمَحَبَّةُ الْأَكْثَرُ وَفَاءً الَّتِي يُمَكِّنُ لِأَحَدِهِمْ أَنْ يَخْتَبِرَهَا، وَهُوَ وَفَاءٌ يُفُوقُ كُلَّ فَهْمٍ بَشَرِيٍّ.

أَوْدُ تَخْصِيصَ بَعْضِ الْوَقْتِ الْيَوْمَ لِلتَّأْمُلِ فِي الْجُزْءِ الْمُعَاكِسِ لِمَحَبَّةِ اللَّهِ الْوَفِيَّةِ قَبْلَ أَنْ نَتَأَمَّلَ فِي الْبُعْدِ الْإِجَابِيِّ لِلْأَمْرِ، عِنْدَ التَّرْكِيزِ مُجَدِّدًا عَلَى أَعْمَالِ خِيَانَةٍ وَعَوَاقِبِهَا كَمَا نَجِدُهَا فِي الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ. إِنْ كُنْتُ أَتَذَكَّرُ مَا حَدَّثَ فِي رِحْلَاتِي، مُنْذُ بَضْعِ سَنَوَاتٍ تَسَنَّتْ لِي فُرْصَةٌ السَّفَرِ إِلَى إِيْطَالِيَا، حَيْثُ أَمْضَيْتُ وَقْتًا طَوِيلًا فِي رُومَا، وَتَسَنَّتْ لِي فُرْصَةٌ زِيَارَةِ مَوَاقِعَ شَهِيرَةٍ فِي الْمَدِينَةِ الْقَدِيمَةِ هُنَاكَ، وَهِيَ الْمَدْرُجُ وَالْفَاتِيكَانُ وَكَنِيسَةُ لَاتِيرَانِ، وَجَمِيعِ تِلْكَ الْأَمَاكِنِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَأَطْلَالِ مَعْبَدِ قَيْصَرِ. لَكِنْ فِي تِلْكَ الزِّيَارَةِ كُلِّهَا، أَهْمُ اخْتِبَارِ كَانِ لِي كَانِ زِيَارَةَ مَوْجِعٍ حَيْثُ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ الْوُقُوفُ فِي الصَّفِّ لِأَنَّ الْكُلَّ كَانِ يَتَجَاهَلُهُ، وَهُوَ الْمَوْجِعُ النَّقْلِيَّةِيُّ حَيْثُ سَجَنَ الرَّسُولُ بُولُسَ لِلْمَرَّةِ الْأَخِيرَةِ قَبْلَ إِعْدَامِهِ فِي عَهْدِ نَبْرُونِ، وَهُوَ يُدْعَى "سَجَنَ مَارِيَّتَيْنِ"، الَّذِي يَقَعُ مُقَابِلَ أَطْلَالِ الْمُنْتَدَى الرَّومَانِيِّ، حَيْثُ كَانِ مَجْلِسُ الشُّيُوخِ يَجْتَمِعُ فِي إِمْبْرَاطُورِيَّةِ رُومَا.

وَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ السَّجْنُ سِوَى خَزَانٍ قَدِيمٍ تَمَّ قَطْعُهُ مِنَ الصُّخُورِ الصَّلْبَةِ، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنِ عُرْفَةٍ بِازْتِفَاعِ ٨ أَوْ ٩ أَوْ ١٠ أَقْدَامٍ، وَعَرْضُهَا حَوَالِي ١٥ قَدَمًا. وَهُوَ كَانِ تَحْتَ الْأَرْضِ لِأَنَّهُ كَانِ يَتِمُّ اسْتِعْمَالُهُ أَسَاسًا لِتَخْزِينِ الْمَاءِ، وَكَانَ عَلَيْكَ النَّزُولُ إِلَيْهِ. فَدَخَلْتُ إِلَى ذَلِكَ الْكَهْفِ الَّذِي يُشْبِهُ الصَّرْحِ، وَهُوَ صَخْرِيٌّ، صَلْبٌ، وَقَاتِمٌ، وَرَطْبٌ، وَمَعْرُوفٌ. وَتَخَيَّلْتُ الرَّسُولَ بُولُسَ وَهُوَ يُمَضِي أَيَّامَهُ الْأَخِيرَةَ وَسَاعَاتِهِ الْأَخِيرَةَ فِي ذَلِكَ الْمَكَانِ الرَّهيبِ بِانْتِظَارِ سَيْفِ الْإِعْدَامِ. وَأَطَّنُ، وَرَعَمَ أَنَّنَا لَسْنَا مُتَأَكِّدِينَ، أَنَّهُ مِنْ هَذَا الْمَوْجِعِ كَتَبَ الرَّسُولُ بُولُسَ آخِرَ رِسَالَةٍ لَهُ تَمَّ إِدْرَاجُهَا فِي الْعَهْدِ الْجَدِيدِ، وَهِيَ رِسَالَةُ وَدَاعٍ لِصَدِيقِهِ وَتَلْمِيذِهِ الْحَبِيبِ تِيمُوثَاوَسَ.

وَنَقْرَأُ فِي رِسَالَةِ تِيمُوثَاوَسَ الثَّانِيَةِ، وَفِي آخِرِ السَّفَرِ، الْكَلِمَاتِ الْآتِيَةِ. فِي الْأَصْحَاحِ الرَّابِعِ يَقُولُ بُولُسُ لِتِيمُوثَاوَسَ، فِي الْآيَةِ ٦: "فَإِنِّي أَنَا الْآنَ أَسْكُبُ سَكِيبًا، وَوَقْتُ انْحِلَالِي قَدْ حَضَرَ. قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ،

حَفِظْتُ الْإِيمَانَ، وَأَخْبِرًا قَدْ وُضِعَ لِي إِكْلِيلُ الْبِرِّ، الَّذِي يَهْبُهُ لِي فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّبُّ الدَّيَّانُ الْعَادِلُ، وَلَيْسَ لِي فَقْطُ، بَلْ لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُحِبُّونَ ظُهُورَهُ أَيْضًا". وَالآنَ اسْمَعُوا جِدًّا مَا يَقُولُهُ، وَيَجِبُ الْقَوْلُ إِنَّ مَحَرَّرِي النُّسَخَاتِ الْمُخْتَلَفَةَ لِلْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ غَالِبًا مَا يَضَعُونَ عَنَاوِينَ فَرَعِيَّةً فِي النَّصِّ. إِذَا، فِيمَا تَتَصَفَّحُونَ النَّصَّ وَتَبْحَثُونَ عَنْ مَقْطَعٍ مُحَدَّدٍ وَلَا تَعْرِفُونَ مَكَانَهُ تَحْدِيدًا، فَإِنَّ هَذِهِ الْعَنَاوِينَ الْفَرَعِيَّةَ تُعْطِيكُمْ فِكْرَةً عَنْ مَضْمُونِ الْمَقْطَعِ النَّالِيِّ. وَالْعُنْوَانُ الْفَرَعِيُّ لِلآيَاتِ ٩ وَمَا يَلِيهَا هُوَ الْآتِي: "الرَّسُولُ الْمَهْجُورُ"، هَكَذَا تَمَّ تَلْخِيصُ جَوْهَرِ مَا سَيَقُولُهُ بُولُسُ.

فِي الْآيَةِ ٩ يَقُولُ لِتِيموثَاوُسَ "بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ إِلَيَّ سَرِيعًا". تَعَالِ سَرِيعًا يَا تِيموثَاوُسَ، فَوْقَهُ يَنْفُذُ. وَالآنَ مَا زَالَ تِيموثَاوُسُ فِي أَفْسَسَ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَتَلَقَّى تِلْكَ الرَّسَالَةَ وَيُبَادِرَ بِأَسْرَعٍ مَا يُمَكِّنُ لِيَقِفَ إِلَى جَانِبِ بُولُسَ. لَكِنْ اسْمَعُوا مُعَانَةَ هَذَا الطَّلَبِ... "بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ إِلَيَّ سَرِيعًا، لِأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ وَذَهَبَ إِلَى تَسَالُونِيكِي، وَكْرِيسْكَيْسَ إِلَى غَلَاطِيَّةَ، وَتَيْطُسَ إِلَى دَلْمَاطِيَّةَ. لَوْقَا وَحْدَهُ مَعِي. خُذْ مَرْقَسَ وَأَحْضِرْهُ مَعَكَ لِأَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ. أَمَّا تَيْخِيكُسُ فَقَدْ أُرْسَلْتُهُ إِلَى أَفْسَسَ. الرَّدَاءَ الَّذِي تَرَكَتُهُ فِي تَرْوَاَسَ عِنْدَ كَارْبُسَ، أَحْضِرْهُ مَتَى جِئْتَ، وَالْكِتَابَ أَيْضًا وَلَا سِيَّمَا الرَّفُوقَ. اسْكَنْدِرُ النَّحَاسِ أَظْهَرَ لِي شُرُورًا كَثِيرَةً. لِيُجَازِهِ الرَّبُّ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. فَاحْتَفِظْ مِنْهُ أَنْتَ أَيْضًا، لِأَنَّهُ قَاوِمٌ أَقْوَالِنَا جِدًّا. فِي احْتِجَاجِي الْأَوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِي، (لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِي) بَلِ الْجَمِيعُ تَرَكَونِي، لَا يُحْسَبُ عَلَيْهِمْ".

قَبْلَ أَنْ نَنْتَقِلَ مِنْ هُنَا، فَلْنَتَأَمَّلْ مُجَدَّدًا فِي مَا يَقُولُهُ: "بَادِرْ أَنْ تَجِيءَ إِلَيَّ سَرِيعًا لِأَنَّ دِيمَاسَ قَدْ تَرَكَنِي". إِنْ قَرَأْتُمْ رِسَائِلَ الرَّسُولِ بُولُسَ بِانْتِبَاهٍ، فَسَتَرَوْنَ أَنَّ دِيمَاسَ لَمْ يَكُنْ مُجَرَّدَ مَعْرِفَةٍ غَابِرَةٍ لِبُولُسَ، فَلَقَدْ تَمَّ ذِكْرُهُ فِي رِسَالَتَيْنِ مِنْ رِسَائِلِ بُولُسَ عَلَى أَنَّهُ شَرِيكٌ فِي الْعَمَلِ وَالْخِدْمَةِ. لَقَدْ كَانَ أَحَدَ مُسَاعِدِي بُولُسَ، وَقَدْ رَافَقَهُ فِي رِحَالَتِهِ التَّبَشِيرِيَّةِ، وَوَقَفَ إِلَى جَانِبِهِ حِينَ كَانَ بُولُسُ يُبَشِّرُ، وَعَايَنَ إِخْلَاصَ الرَّسُولِ بُولُسَ، وَرَأَى كَيْفَ أَنَّ بُولُسَ عَانَى بِشِدَّةٍ عَلَى يَدِ أَعْدَائِهِ، وَكَيْفَ أَنَّ بُولُسَ بَقِيَ ثَابِتًا. حِينَ يَقُولُ بُولُسُ "قَدْ جَاهَدْتُ الْجِهَادَ الْحَسَنَ، أَكْمَلْتُ السَّعْيَ، حَفِظْتُ الْإِيمَانَ"، كَانَ دِيمَاسُ عَلَى عِلْمٍ بِذَلِكَ. دِيمَاسُ رَأَى ذَلِكَ كُلَّهُ، لَكِنْ حِينَ دَقَّتْ سَاعَةُ الْحَقِيقَةِ، قَالَ بُولُسُ "دِيمَاسُ قَدْ تَرَكَنِي إِذْ أَحَبَّ الْعَالَمَ الْحَاضِرَ". هَلْ يُمَكِّنُكُمْ أَنْ تَتَخَيَّلُوا كَيْفَ شَعَرَ بُولُسُ حِينَ مَضَى دِيمَاسُ وَتَرَكَهُ فِي ذَلِكَ الْخَرْزَانِ بِانْتِظَارِ إِعْدَامِهِ؟

ثُمَّ يَتَابِعُ قَائِلًا إِنَّ الْأَخْرِيْنَ قَدْ تَرَكَوهُ... "وَكْرِيسْكَيْسَ ذَهَبَ إِلَى غَلَاطِيَّةَ، وَتَيْطُسَ إِلَى دَلْمَاطِيَّةَ. لَوْقَا وَحْدَهُ مَعِي". لَوْقَا هُوَ الْوَحِيدُ، لَوْقَا الَّذِي رَافَقَهُ فِي رِحَالَتِهِ التَّبَشِيرِيَّةِ، لَوْقَا الَّذِي سَرَدَ أَحْدَاثَ خِدْمَةِ بُولُسَ فِي سَفَرِ أَعْمَالِ الرَّسُولِ، كَانَ لَوْقَا وَفِيًّا لِبُولُسَ حَتَّى النَّهَائِيَّةِ. لَكِنَّهُ يَتَابِعُ قَائِلًا "خُذْ مَرْقَسَ وَأَحْضِرْهُ مَعَكَ لِأَنَّهُ نَافِعٌ لِي لِلْخِدْمَةِ". أَلَيْسَ الْأَمْرُ مُذْهِلًا؟ كَانَ بُولُسُ قَدْ طَرَدَ مَرْقَسَ مِنْ رِحَالَتِهِ التَّبَشِيرِيَّةِ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ طَرْدِهِ إِيَّاهُ، لِأَنَّ مَرْقَسَ لَمْ

يَكُنُّ مُنَاسِبًا لِيَتَكَ الخِدْمَةَ بِالذَّاتِ، كَانَ لَا يَزَالُ يَمْلِكُ الْكَثِيرَ مِنَ الْأُمُورِ النَّافِعَةِ لِيُسَهِّمَ بِهَا فِي الخِدْمَةِ الرَّسُولِيَّةِ. وَالآنَ فِي سَاعَتِهِ الْأَخِيرَةِ يَقُولُ بُولُسُ "خُذْ مَرْفُسَ وَأُحْضِرْهُ إِلَيَّ هُنَا".

"أَمَا تِيخِيكُسُ فَقَدْ أَرْسَلْتُهُ إِلَى أفسُسَ. الرِّدَاءَ الَّذِي تَرَكْتُهُ فِي تَرُوسَ عِنْدَ كَارِثِسَ، أُحْضِرْهُ". فَلَقَدْ كَانَ بُولُسُ مُوجُودًا فِي تِلْكَ الرِّزْنَانَةِ الرُّطْبَةِ وَهُوَ يَشْعُرُ بِالْبُرْدِ، أُحْضِرْ رِدَائِي. "وَالْكَتُبَ أَيْضًا وَلَا سِيَّما الرُّفُوقَ". نَمَّةٌ قِصَّةٌ مُتَعَلِّقَةٌ بِقَيْصِرٍ قَدِيمٍ يَمْلِكُ مَجْمُوعَةً قِيَمَةً مِنَ الْكُتُبِ، وَهُوَ كَانَ هَارِبًا مِنَ الْأَعْدَاءِ وَكَانَ عَلَيْهِ الْفَقْرُ فِي النَّهْرِ وَاجْتِيَارُهُ سَبَاحَةً. وَهُوَ كَانَ يَرْتَدِي ثِيَابًا مُلَوَّكِيَّةً فَخْمَةً، لَكِنَّهُ لَمْ يَكْتَرِثْ لَهَا، بَلْ تَمَسَّكَ بِكُتُبِهِ وَعَاصَ فِي الْمَاءِ، وَحَمَلَ كُتُبَهُ فَوْقَ رَأْسِهِ وَهُوَ يَشُقُّ طَرِيقَهُ عَبْرَ الْقَنَاةِ، فَتَمَرَّقَتْ ثِيَابُهُ، لَكِنَّهُ أَنْقَذَ كُتُبَهُ. وَاشْتَهَرَ بِكَوْنِهِ إِمْبْرَاطُورًا أَحَبَّ التَّعَلُّمَ أَكْثَرَ مِنْ فَخَامَةِ مَلَابِسِهِ. هَا إِنَّ الرَّسُولَ بُولُسَ يَقُولُ وَهُوَ عَلَى وَشِكِّ الْمَوْتِ "أُحْضِرْ رُفُوقِي، أُرِيدُ الْكَلِمَةَ".

"إِسْكَندَرُ النَّحَّاسُ أَظْهَرَ لِي شُرُورًا كَثِيرَةً. لِيُجَازِيَ الرَّبَّ حَسَبَ أَعْمَالِهِ. فَاحْتَقِظْ مِنْهُ أَنْتَ أَيْضًا". ثُمَّ قَالَ "فِي اخْتِجَاجِي الْأَوَّلِ لَمْ يَحْضُرْ أَحَدٌ مَعِي، بَلِ الْجَمِيعُ تَرَكَونِي. لَا يُحْسَبُ عَلَيْهِمْ". لَكِنْ اسْمَعُوا الْآنَ مَا يَقُولُهُ بُولُسُ "وَلَكِنَّ الرَّبَّ وَقَفَ مَعِي وَقَوَانِي، لَكِنِّي تَمَّتْ بِي الْكِرَازَةُ، وَيَسْمَعُ جَمِيعُ الْأُمَمِ، فَأَنْقَذْتُمْ مِنْ فَمِ الْأَسَدِ. وَسَيُنْفِذُنِي الرَّبُّ مِنْ كُلِّ عَمَلٍ رَدِيٍّ وَيُخَلِّصُنِي لِمَلَكُوتِهِ السَّمَاوِيِّ. الَّذِي لَهُ الْمَجْدُ إِلَى دَهْرِ الدُّهُورِ. آمِينَ". الْكُلُّ تَرَكَنِي، الْكُلُّ هَرَبَ فِي اخْتِجَاجِي الْأَوَّلِ، إِلَّا يَسُوعَ. لَقَدْ كَانَ هُنَاكَ، كَانَ مَعِي مِثْلًا وَعَدَّ بَأَن يَفْعَلَ، كَانَ وَفِيًا وَقَوَانِي. وَالآنَ انْتَقَلَ بُولُسُ مِنْ إِحْبَابِهِ، إِذَا جَازَ التَّعْبِيرُ، إِلَى حَالَةٍ تَمَجِّدٍ وَشُكْرِ، حَيْثُ بَدَأَ يُسَبِّحُ مَجْدَ رَبِّهِ الَّذِي قَوَاهُ، الَّذِي وَعَدَّ بَأَن يَتْرُكُهُ، وَالَّذِي سَيَكُونُ مَعَهُ وَيُدْخِلُهُ إِلَى مَلَكُوتِهِ الْأَبَدِيِّ. وَمَا قَوَى الرَّسُولَ بُولُسَ خِلَالَ حَيَاتِهِ، هِيَ تَقَاتُهُ الْكَامِلَةُ بِمَحَبَّةِ الْمَسِيحِ الْوَفِيَّةِ، الْمَحَبَّةِ الَّتِي لَا تَفَارِقُهُ.

الآن، لَقَدْ مَرَّ الْمَسِيحُ فِي الْاِخْتِبارِ نَفْسِهِ، الَّذِي كَتَبَ عَنْهُ بُولُسُ بِطَرِيقَةٍ مُؤَثِّرَةٍ، فِي آخِرِ أَيَّامِهِ. إِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْأَصْحَاحِ ١٤ مِنْ إِنْجِيلِ مَرْفُسَ، فَإِنَّا نَرَى يَسُوعَ يَدْخُلُ مَرْحَلَةَ الْأَلَامِ فِي بُسْتَانَ جَنْسِيمَانِي، حَيْثُ يَتَحَاجَّجُ مَعَ الْآبِ بِشَأْنِ الْكَأْسِ الْمَوْضُوعَةِ أَمَامَهُ، كَأْسِ الدِّيُونَةِ الْإِلَهِيَّةِ. وَالتَّمَسَّ مِنَ الْآبِ أَنْ يَجْعَلَ تِلْكَ الْكَأْسَ تَعْبُرُ عَنْهُ. وَجَمَعَ أَصْدِقَاءَهُ الْمُقَرَّبِينَ، وَتَلَامِيذَهُ، وَقَالَ "سَهَرُوا مَعِي". وَدَعَاهُمْ لِلْمَجِيءِ وَالْبَقَاءِ مَعَهُ بَيْنَمَا يَخْتَبِرُ عَذَابَ الصِّرَاعِ فِي جَنْسِيمَانِي. وَنَفَرًا مَا يَلِي، فِي الْآيَةِ ٣٢ مِنَ الْأَصْحَاحِ ١٤ مِنْ إِنْجِيلِ مَرْفُسَ: "وَجَاءُوا إِلَى صَيْعَةٍ اسْمُهَا جَنْسِيمَانِي، فَقَالَ لِتَلَامِيذِهِ: «اجْلِسُوا هَهُنَا حَتَّى أَصَلِّي». ثُمَّ أَخَذَ مَعَهُ بَطْرُسَ وَيَعْقُوبَ وَيُوحَنَّا، وَابْتَدَأَ يَدْهُسُ وَيَكْتَتِبُ. فَقَالَ لَهُمْ: "نَفْسِي... إِنَّ الرَّبَّ يَسُوعَ يَقُولُ ذَلِكَ لِأَصْدِقَائِهِ الْمُقَرَّبِينَ... «نَفْسِي حَزِينَةٌ جِدًّا حَتَّى الْمَوْتِ! امْكُثُوا هُنَا وَاسَهَرُوا». ثُمَّ تَقَدَّمَ قَلِيلًا وَخَرَّ عَلَى الْأَرْضِ، وَكَانَ يُصَلِّي لِكَيْ تَعْبُرَ عَنْهُ السَّاعَةُ إِنْ امْكَنَ. وَقَالَ: «يَا أَبَا الْآبِ، كُلُّ شَيْءٍ مُسْتَطَاعٌ لَكَ، فَأَجْزِ عَنِّي هَذِهِ الْكَأْسَ. وَلَكِنْ لِيَكُنْ لَا مَا أُرِيدُ أَنَا، بَلْ مَا تُرِيدُ أَنْتَ». ثُمَّ جَاءَ وَوَجَدَهُمْ نِيَامًا". طَلَبَ مِنْهُمْ أَنْ يَسَهَرُوا، لَكِنَّهُمْ نَامُوا أَثناءَ السَّهْرِ. فَقَالَ لِبَطْرُسَ «يَا سَمْعَانَ أَنْتَ

نَائِمًا! أَمَا قَدَرْتَ أَنْ تَسْهَرَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ اسْهَرُوا وَصَلُّوا لئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ. أَمَا الرُّوحُ فَتَشْبِيهُ، وَأَمَا الْجَسَدُ فَضَعِيفٌ».

وَمَضَى أَيْضًا وَصَلَّى قَائِلًا ذَلِكَ الْكَلَامَ بَعَيْنِهِ. "أَيْمَنُكُمْ أَنْ تَتَخَيَّلُوا الإِخْرَاجَ الْكَبِيرَ وَالْإِذْلالَ حِينَ جَاءَ يَسُوعُ وَوَجَدَ سِمْعَانَ بُطْرُسَ نَائِمًا؟ فَأَيَّظُهُ قَائِلًا "يا بُطْرُسُ، هَلْ أَنْتَ نَائِمٌ؟ أَلَمْ تَعِدْ أَنْ تَسْهَرَ مَعِيَ سَاعَةً وَاحِدَةً؟ أَيْمَنُكُمْ أَنْ تَتَخَيَّلُوا كَمْ شَعَرَ بُطْرُسُ بِالدَّنْبِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ؟ فَاسْتَيْقَظَ بِسُرْعَةٍ، وَقَالَ "لَنْ يَحْدُثَ ذَلِكَ أَبَدًا. مُجَدِّدًا يَا رَبُّ يُمْكِنُكَ الإِعْتِمَادُ عَلَيَّ، وَأَنَا سَأَسْهَرُ". ثُمَّ رَجَعَ (يَسُوعُ) وَوَجَدَهُمْ أَيْضًا نِيَامًا، إِذْ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ ثَقِيلَةً، فَلَمْ يَعْلَمُوا بِمَاذَا يُجِيبُونَهُ. ثُمَّ جَاءَ ثَالِثَةً وَقَالَ لَهُمْ «نَامُوا الآنَ وَاسْتَرِيحُوا! يَكْفِي! قَدْ أَتَتْ السَّاعَةُ! هُوَذَا ابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلِّمُ إِلَى أَيْدِي الخُطَاةِ. فُومُوا لِنِذْهَبِ، (فَلْنُنْطَلِقْ). هُوَذَا الَّذِي يُسَلِّمُنِي قَدْ اقْتَرَبَ!» وَأَشَارَ إِلَى اقْتِرَابِ يَهُودًا، الَّذِي وَفَى عَمَلِ الخِيَانَةِ النَّهَائِيَّةِ، سَيُعْطِي يَسُوعَ قُبْلَةَ المَوْتِ.

وَتَعْرِفُونَ بَاقِي القِصَّةِ. كَيْفَ أَنَّهُ حِينَ تَمَّ تَوْقِيفُ يَسُوعَ وَنُقِلَهُ إِلَى قَاعَةِ المَحْكَمَةِ لِيُحْكَمَ عَلَيْهِ بِيلاطُسُ، التَّلَامِيذُ الَّذِينَ كَانُوا قَدْ هَرَبُوا وَتَرَكَوهُ، تَبِعُوهُ عَنِ بُعْدِ آمِنٍ، كَانِ المَسَاءَ بَارِدًا، ثُمَّ وَجَدُوا بَعْضَ الجَوَارِي كُنَّ قَدْ تَجَمَّعْنَ خَارِجًا حَوْلَ النَّارِ وَجُنُنَ لِيَتَدَفَّقْنَ أَمَامَ النَّارِ، وَسَمِعَتْ تِلْكَ الجَارِيَةُ بُطْرُسَ يُكَلِّمُ أَصْدِقَاءَهُ وَمَيَّرَتْ لَهْجَتَهُ، فَعَلِمَتْ أَنَّهُ مِنَ الجَلِيلِ. فَقَالَتْ تِلْكَ الجَارِيَةُ لِبُطْرُسَ، وَهِيَ لَمْ تَكُنْ مِنَ الصُّبَّاطِ أَوْ المَسْؤُولِينَ، قَالَتْ "هَلْ أَنْتَ مَعَ الجَلِيلِيِّ؟" لَيْسَ أَنَا. "لَقَدْ أَنْكَرَ المَسِيحُ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ عَلَنًا. وَفِي المَرَّةِ الثَّالِثَةِ لَعَنَ وَحَلَفَ "لَمْ أَعْرِفْ يَوْمًا ذَلِكَ الرَّجُلَ النَّبَاسِ. لَا تَرْتَبُونِي بِهِ". وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ، فِي المَرَّةِ الثَّالِثَةِ الَّتِي أَنْكَرَ فِيهَا يَسُوعَ، فَجَاءَهُ ظَهَرَ يَسُوعُ وَهُوَ يَعْبُرُ فِي السَّاحَةِ، وَيَقُولُ لَنَا الكِتَابُ المَقْدَسُ إِنَّ عَيْنَيْهِ وَقَعَتَا عَلَى بُطْرُسَ. لَا أَظُنُّ أَنَّهُ فِي تَارِيخِ العَالَمِ تَمَّ لِقَاءُ أَكْثَرِ إِيلَامًا لِلْعُيُونِ مِمَّا جَرَى تِلْكَ اللَّيْلَةَ بَيْنَ يَسُوعَ وَبُطْرُسَ. لَمْ يَقُلْ يَسُوعُ شَيْئًا، بَلِ اكْتَفَى بِالنَّظَرِ إِلَيْهِ، فَأَنهَارَ بُطْرُسَ. مِنَ الجَبْدِ طَبْعًا أَنَّ بُطْرُسَ تَابَ وَعَادَ إِلَى صَوَابِهِ، وَسَلَّكَ بِحَسَبِ لِقَابِهِ، أَي الصَّخْرَةِ. لَكِنْ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةَ لَمْ تَكُنِ الصَّخْرَةُ سِوَى رِمَالٍ مُعْرَبَلَةٍ، لِأَنَّهُ أَحَبَّ العَالَمَ الحَاضِرَ أَكْثَرَ مِنْ مُخْلِصِهِ.

لَكِنْ إِنْ أَرَدْتُمْ التَّكَلَّمَ عَنِ الخِيَانَةِ، فَإِنَّ أَسْوَأَ اخْتِبَارِ خِيَانَةٍ وَشُعُورٍ بِالعَدْرِ كَانَ عَلَى الصَّلِيبِ، حِينَ أُعْطِيَ اللهُ تِلْكَ الكَأْسَ لِابْنِهِ الحَبِيبِ لِيَشْرِبَهَا، وَأَدَارَ لَهُ ظَهْرَهُ، وَأَرْسَلَ المَسِيحَ إِلَى الجَحِيمِ عَلَى الصَّلِيبِ، وَوَضَعَ عَلَيْهِ كَامِلَ اللُّعْنَةِ. وَفِي تِلْكَ اللَّحْظَةِ الرَّهيبَةِ صَرَخَ المَسِيحُ مُتَعَذِّبًا "إِلَهِي، إِلَهِي لِمَاذَا تَرَكْتَنِي؟" إِنَّهُ لِأَمْرٍ أَنْ تَكُونَ مَثْرُوكًا مِنْ بُطْرُسَ، وَهُوَ أَمْرٌ آخَرُ أَنْ تَكُونَ مَثْرُوكًا مِنْ دِيمَاسَ، لَكِنْ أَنْ تَكُونَ مَثْرُوكًا مِنَ اللهِ؟ لَكِنْ بِالطَّبَعِ، كَانَ يَسُوعُ عَلَى عِلْمٍ بِمَا يُوجَدُ فِي تِلْكَ الكَأْسِ. عَلِمَ أَنَّهُ إِنْ أَرَادَ تَتَمِيمَ مُحَطَّطِ الفِدَاءِ، فَلَا بُدَّ لِلآبِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِ عِقَابُ الخَطِيئَةِ، لِأَنَّ العِقَابَ النَّهَائِيَّ لِلخَطِيئَةِ يَقْضِي بِإِنْفِصَالِ اللهُ عَنِ الخَاطِئِ.

قَرَأْنَا فِي الْأَصْحَاحِ ٥٣ مِنْ إِشْعِيَاءَ "أَمَّا الرَّبُّ فَسَرَّ بِأَنْ يَسْحَقَهُ بِالْحُزْنِ". يَكَادُ الْأَمْرُ يَبْدُو وَحْشِيًّا، أَنْ يُسَرَّ الرَّبُّ بِسِحْقِ الْخَادِمِ. لَكِنَّ السُّرُورَ الْمَقْصُودَ هُنَا لَا يَعْنِي أَنَّ الْأَبَ سَرَّ بِالْمِ الْإِبْنِ بِهَدَفِ رُؤْيَا الْإِبْنِ يَتَأَلَّمُ، لَكِنَّ الْأَبَ سَرَّ بِأَنْ يَضْرِبَ الْإِبْنَ لِأَجْلِكَ وَالْأَجْلِي. بِدَافِعِ الْمَحَبَّةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا الْأَبُ بِهَا، وَالْمَحَبَّةِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي أَحَبَّنَا الْإِبْنُ بِهَا، كَانَ عَلَى الْإِبْنِ أَنْ يَضْرِبَ مِنَ الْأَبِ، وَأَنْ يُسْحَقَ عَلَى يَدِهِ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يَتَلَقَّى اللَّعْنَةَ، كَانَ عَلَيْهِ أَنْ يُصْبِحَ مَتْرُوكًا. لَكِنَّ لَاحِظُوا أَنَّ هَذِهِ لَيْسَتْ نِهَآيَةَ الْقِصَّةِ. اجْتَازَ يَسُوعُ عَمَلِيَّةَ التَّرْكِ الَّتِي لَدَيْهَا مَرَحَلَةٌ نِهَآئِيَّةٌ، أَحْبِرًا قَالَ "قَدْ أَكْمَلْتُ. فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي". لِأَنَّهُ عَرَفَ مَحَبَّةَ الْأَبِ الْوَفِيَّةَ. هَذَا مَا يَعْنِيهِ أَنْ تَكُونَ مَحْبُوبًا مِنَ اللَّهِ، فَهُوَ لَنْ يَتْرَكَ شَعْبَهُ أَبَدًا فِي النِّهَآيَةِ.

الدُّكْتُورُ أَرْ. سِي. سِنْرُولُ هُوَ مُؤَسِّسُ هَيْئَةِ خَدَمَاتِ لِيْجُونِيرِ، وَكَانَ أَحَدَ رُعَاةِ كَنِيسَةِ الْقَدِيْسِ أَنْدْرُو (St. Andrews Chapel) فِي مَدِينَةِ سَانْفُورْدِ بُولَايَةِ فُلُورِيدَا، كَمَا كَانَ أَوَّلَ رَئِيْسِ لِكَلِيَّةِ الْكِتَابِ الْمُقَدَّسِ لِلِإِصْلَاحِ (Reformation Bible College). وَهُوَ مُؤَلِّفُ أَكْثَرِ مِنْ مِائَةِ كِتَابٍ، بِمَا فِي ذَلِكَ "كَلْمَا لَاهُوتِيُون" (Everyone's A Theologian).